منصور علي المهاجر

زيد بن علي

شعلة في ليل الاستبداد

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب: ٧١٢٠

منصور علي المهاجر

شبكة الفكر
alfeker.net

زيد بن علي

شعلة في ليل الاستبداد

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص ب : ٧١٢٠

الطبعة الاولى

حقوق الطبع محفوظة

١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم بأن لهم الجنة ..
يقاتلون في سبيل الله ..
فيَقتلون ويُقتلون ..
وعداً عليّ حقاً في
التوراة والانجيل والقرآن » .

(صدق الله العلي العظيم)

مقدمة

كلمة الثورة .. لفظة مستهجنة عند البعض ، إذ يتصورونها شبحاً رهيباً يكاد أن يزهق روحهم ، يتصورونها عامل هدم وشقاء للمجتمعات الآمنة المستسلمة حين تسلب حقوق الفقراء ، وتضيع ثروات الأغنياء ، وتجمد اقتصاد البلد .

ثم إنها تحمل معها نكهة الدم .. الاعدام .. القتل .. التشريد ... الخ. هـذه التصورات عن معنى الثورة تتبادر الى أذهان فئة من المجتمع لمجرد سماعهم لهذه الكلمة .

من هنا كان علينا في البداية أن نفهم بشكل واضح وسليم ما تعنيه هذه الكلمة .

إن معنى الثورة هو : (الإصلاح) و (التغيير) إصلاح المجتمع الفاسد وتغيير الحكم الجائر ، الذي يظلم النـاس ويسلب الشعب حقوقه . وإذا كان هـــذا هو معنى الثورة فإنها ستكون شيئاً مقدساً .. بل واجباً إنسانياً يجب أن يقوم به كل من يحمل بين

ضلوعه ضميراً حياً ، وكل من يؤمن بالله .. والقيم .. والمبادىء .

وهكذا نجد أن رسالة الأنبياء كانت ثورة على الأوضاع الفاسدة ، وتغييراً للاسس الظالمة التي يبنى عليها نظام الحكم في ذلك الوقت ، ابتداء من رسالة نبي الله نوح عليه السلام ومروراً برسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانتهاء بأئمة أهل البيت عليهم السلام .

فهم جميعاً هبطوا الى الأرض في وقت كان الناس يسيرون فيه الى الهاوية ، غافلين عن هدفهم واتجاههم .

فجاءت حركات الرسل والأئمة لتوقظهم من غفلتهم ، ولتعيد اليهم رشدهم ، ومن هنا سميت أعمالهم ثورات ، وسموهم بـ « الثائرين » ، خذ مثلاً على ذلك :

عندما جاء الامام علي عليه السلام الى الحكم بعد خمسة وعشرين سنة من وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأوضاع الامة الاسلامية تسير بخطى تراجعية نحو الجاهلية ، وكان السبب هو فساد الجهاز الاداري وتسلط طبقة من المنافقين والمصلحيين والانتهازيين الذين «اتخذوا مال الله دولاً » يتداولونه فيما بينهم ، وعباد الله خولاً «عبيداً» .

وكان العمل العظيم الذي قام به الامام هو أولاً : عزله ولاة النظام السابق وعيّن ولاة قادرين على تحمل مسؤولياتهم الدينية والقيادية . وثانياً : استرد جميع الأموال التي انتهبت من بيت المال ، ثم قام بتوزيعها من جديد على المسلمين .

وثالثاً : ساوى في العطاء بين المسلمين « لا فرق في ذلك بين عجمي ولا عربي ، ولا أبيض ولا أسود » .

بل انه كان يأخذ لنفسه ما كان يعطيه لخادمه قنبر .

ان هذه الأعمال الحاسمة هي بمثابة ثورة وتغييراً وقد خلّدها التاريخ حتى عصرنا الراهن فسمى المفكرون علياً برائد العدالة الإنسانية .

لأن عمله كان لمصلحة الجماهير ،ووفق مقاييس الحق والعدالة ، ومن وراء الامام علي عليه السلام جاء أهل بيته الأطهار يحملون راية الثورة .. ويعملون من أجل التغيير .. فاستحقوا أن يكونوا طلائع الامة ، وقادتها نحو الخير والصلاح .

ولما كان زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام مناضلاً في سبيل الحق ، ومكافحاً من أجل الحرية ، لذلك استحق أن لقب الثائر . ثم كانت حركته ثورة .. لماذا ؟..

لأنها نشأت في عهد تسلط فيه الامويون على الامة بصورة ديكتاتورية ، فأخذوا يقتلون ويشردون الثائرين من آل بيت محمد صلى الله عليه وآله ويقربون من عادى الله ورسوله الى جانبهم ،لتكريس الخط الذي رسمه جدهم « أبو سفيان » وهو خط الردة الى الجاهلية وضرب قيم الاسلام .

من هنا كان على الامام القائد في ذلك الوقت (والذي كان الامام الصادق عليه السلام آنذاك) أن يقوم بحركة تعارض خط السلطة لأنه مسؤول أمام الله والشعب عن ذلك ، ومن الطبيعي أنه لم يكن في استطاعة الامام عليه السلام القيام بنفسه بهذه المهمة ، بسبب ظروف الكبت والارهاب والملاحقة التي كان

يواجهها من السلطتين بالاضافة الى عوامل اخرى . لذلك فقد وكل الى أفراد الكيان الشيعي مهمة القيام بعملية استرداد الحق المغصوب ، وإيقاظ الامة من سباتها ، وزلزلة عروش الظالمين والجائرين .

وكان المكلف بهذه العملية هو زيد بن علي عليهما السلام عم الامام عليه السلام بعد استكمال خطة الثورة .. وسيأتي التفصيل .

المهم أن الثورة — أية ثورة — لو كانت منطلقاتها وأهدافها غريبة عن مبادىء الله وقيمه .. فستكون ثورة انتهازية .. وستسبب المآسي والويلات للشعوب ، عكس الثورات الرسالية التي ستكون (بطبيعة إيمانها بالله ، وبحق الانسان) ثورات نزيهة .. تخدم مصلحة الجماهير دون أن يكون فيها أي نوع من الظلم والتعدي والأنانية .

ذلك لأن الإيمان بتحديد شهوات الانسان وأهواءه في إطار القيم ، فلا يتعدى الانسان على أخيه ، ولا يظلم ، ولا يتعدى .

وثورة زيد بن علي كانت في طليعة « الثورات الإيمانية » التي قلبت المعادلات رأساً على عقب .. وكان لها آثار إيجابية كبيرة على الصعيد الاجتماعي والسياسي .

وفي هذا الكتاب استعراض سريع لهذه الثورة ، ظروفها ، تطوراتها ، نتائجها ... الخ.

ومن الله أستمد التوفيق إنه سميع مجيب .

أين تربى الشهيد

في بيت يتفجر بالايمان الصادق ، وفي حجر رضع من أثداء الرسالة ، تربى زيد بن علي .

عاش وهو يرى مسحة حزن تمر على جبين والده بين الحين والآخر ، كلما تذكر الأحداث الدامية التي جرت في كربلاء .

فلا زالت كربلاء تنبض بدماء الشهداء، الذين سقطوا صرعى على أرضها ، ولا زالت الصرخات التي أطلقها أبو عبد الله الحسين عليه السلام ترن في اذن كل ثائر والتي كان يقول فيها « هل من ناصر؟ هل من معين؟ أليس من ذاب يذب عن حرم رسول الله ؟ أليس من موحد يخاف الله فينا ؟... الخ. » . ولقد تجسد ذلك النداء في ثورة قام بهـا أحرار أطلقوا على أنفسهم لقب « التوابين » ، فتستشري روح الثورة والجهاد في الامة ، وتعمل دماء التوابين أثرها في نفوس فئة من المؤمنين يوجههم الامام زين العابدين ، فيقومون بثورة كان شعارها « يا لثارات الحسين » بقيادة المختار

الثقفي ، الذي تربى تحت ظل مبادىء الأئمة الأطهار عليهم السلام .

ويتسلم المختار (رض) زمام الحكم في الكوفة ، والامام زين العابدين يمده بالدعم الاعلامي والتوجيه الاداري في المدينة .

لقد قال الامام زين العابدين عليه السلام في أحد المناسبات :

« رحم الله المختار ، فلقد أشفى صدورنا ، وقتل عدونا » .

الى غير ذلك من الكلمات التي تنم عن رضا الامام زين العابدين عن تلك الثورة ، وقد كان الامام في ذلك الوقت قائداً للامة الشيعية .

ويشتد الصراع بين الحركات العاملة والسلطة القائمة على الجور .. والظلم .. والطغيان .. فيفقد رباط السلطة وتضعف هيبتها لكثرة وقوة تلك الحركات .

ولا تزال الحركة الشيعية من بين الحركات متسترة ومحافظة على مبدأ التقية ، فقائد الحركة الحقيقي مجهول .. لا يعرفه إلا الرؤوس الكبيرة من أعضاء الكيان الشيعي .

في هذه الأجواء عاش الشهيد البطل زيد بن علي (رض) أجواء مليئة بالحذر والتقية ، والثورة والايمان ، فكان يأخذ عصارة تجارب والده الامام زين العابدين عليه السلام ويفطمها ثم يحاول أن يستشف منها الرؤية المستقبلية .

في أجواء الثورة عاش وتربى .

لقد تربى زيد على يد أبيه زين العابدين ، وكان الامام كثيراً ما يصور اليه الموت في عدة مناسبات ، كإعداد نفسي

« لزيد » من أجل الشهادة في سبيل الله .

والموت عند آل البيت لا يعني سوى لقـــاء الله والانسان شهيد . فالشهادة تعني الجنة ، معادلة لا تحتاج الى برهان ، لأن الله قال :

«إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة».

والامام زين العابدين لم يترك هذا الجانب لأهل بيته غامضاً بل قال :

« ما منا إلا مقتول أو مسموم » .

إذ فليس من المستغرب أن يسمع زيد عليه السلام وهو في صباه أنباء شهادته ومقتله .

ذات مرة كان الامام محمـد الباقر عليه السلام جالساً وحوله ثلة من أصحابه ، إذ أقبل زيد ، فلما نظر اليه الامام أبو جعفر عليه السلام قال :

هذا سيد أهل بيتي ، والطالب بثأرهم .

فالتربية التي ترباها زيد تُعتبر مثالاً يحتذى لكل ثائر . فلقد تربى زيد في حجر إمام ، ونشأ على يد إمام واستشهد في عهد إمام .

الامام زين العابدين عليه السلام ربى زيداً ، وبنى بنيته العبادية ، حتى اذا ما نشأ وترعرع تولى مهمة تثقيفه وتعليمه الامام الباقر عليه السلام لأن عهده كان عهد السلم والثقافة ، وكانت تربية زيد في بداية نضوج الفكر الشيعي وتكامله .. وقـد تم على يد أخيه الامام البـــاقر عليه السلام وكان زيد عليه السلام مثالاً يحتذى بالطاعة

لأخيه الامام ، وكان ساعده الأيمن ، فقد قـــال عنه الامام : (شد الله ظهري بأخي زيد) .

أما مرحلة التفجير فقد كانت في عهد الامام الصادق عليه السلام لقد انتهت مراحل التربية والتعليم وبقيت المرحلة الـــتي يمكن جنيها من جراء تلك التربية .

وكان الامام الصادق يعد العدة للقيام بانتفاضة عسكرية ضد النظام ، فكان زيد بن علي منفذ وقائد تلك الخطة الـتي كانت تختمر في ذهن كل قائد من قوادنا العظام .

لنعد الى الوراء قليلاً لنرى :

ما هي الظروف التي كانت تعيشها اسرة زيد ؟

والد زيد وهو الامام زين العابدين ، كان مراقباً من قبل السلطة مراقبة دقيقة وصارمة ، حتى انـه لم يستطع أن يلتقي بالمجتمع ليوجهه إلا من خلال اسلوب ذكي .

كان يشتري العبيد سنوياً بكميات كبيرة ، وخلال سنة واحدة ، كان يربيهم على القيم والمناقبيات الاسلامية ، حتى اذا اكتمل نضوجهم الفكري والعملي، وصاروا جنوداً لله، أعتقهم، فينتشرون في المجتمعات حاملين رسالة أهل البيت الى البلدان والمدن الاسلامية التي جاءوا منها .

وكان الامام يرسل النائحات الى منى ، ليندبن الامام الشهيد الحسين بن علي عليه السلام فتثار الأسئلة ، ويسود اللغط بين أوساط الحجيج ، عن سبب بكاء ووجود النائحات في مثل هذا المكان؟ فيقوم أصحاب الامام بتعريف الحجاج ، بأن سبب بكاء هؤلاء

هو حزنهم على سيد الشهداء الحسين ، ولكن من هو الحسين ؟ فيذكرون لهم نبذة عن الحسين ، وسبب ثورته ، والطريقة التي قتل بها الامام .

وما أن ينتهي الحجاج من مراسيم الحج ، ويتهيأون للرجوع الى بلدانهم ، إلا وهم يحملون حقداً رسالياً مقدساً على النظام الحاكم ، ويتناقلون قصة الحسين الثائر فيما بينهم .

وتعم روح الثورة والتمرد أرجـــاء البلاد الاسلامية فترى السلطات القائمة ، أنـه لا بد من التخلص من حامل الرسالية المحمدية ، ذلك الذي بعث الروح في الامة من جديد ، وأيقظ فيهم الشعور بالعزة .. والكرامة .. والمسؤولية .

فتقضي على الامام زين العابدين عليه السلام بالسم .

ويختم التاريخ صفحة نضالية مشرقة من أئمة المذهب الشيعي

ويستشهد الامام زين العابدين عليه السلام تاركاً قيادة الامة لابنه محمد بن علي (الامام الباقر عليه السلام) ومخلفاً له امة كاملة تريد ثائراً يحطم كيان السلطة الأموية ، وكان هو زيد بن علي . الذي حمل لواء المعارضة فيما بعد .

هذه قصة نضال والد الشهيد زيد (الامام علي عليه السلام) .

أما هو فانه درس هذا النضال ، فرأى أن بالامكان إعادته مرة اخرى ، بوسيلة ثانية ، وان كان كلا النضالين يحملان هدفاً واحداً .

وكان له ما أراد .

صفات الشهيد

اذا دققنا النظر في أسباب سقوط الدولة الأموية ، نجد أن أحد الأسباب هي شخصية الشهيد زيد بن علي عليه السلام .

يا ترى ما هي الصفات التي كان يتمتع بهـــا زيد ، والتي جعلت الجماهير بعد موته تنقلب رأساً على عقب مسقطة بذلـك الدولة الأموية الظالمة ؟

إن السبب يكمن في أن زيداً حمل صفات إيجابية ، باستطاعة كل إنسان منا أن يحملها فيما لو اتقى الله حق تقاته .

فلقد جاء في صفات زيد ما يلي :

١ — انه كان عابداً ورعاً فقيهاً شجاعاً .

٢ - وكان يدعى في الكوفة بحليف القرآن لملازمته له .

٣ — ظهر بالسيف ليأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، وكان يطالب بثارات جده الحسين .

كان زيـــد عابداً والعبادة تعني العروج بالروح والنفس إلى السماء ، وتعني الصعود إلى ملكوت الله ، وإعطاء النفس روحية عالية تنعكس بشكل إيجابي على معاملة الفرد مع المجتمع. حيث يصبح تعامـــلاً « إيمانياً » قائماً على أسس الحب ، والإيثار ، والإحترام . في مقابل العلاقات المادية القائمة على أسس البغض ، والمصلحية ، والعداء .

أمـا نتيجة العبادة فهي : في تلك الروح التي تزرعها العبادة في نفس الإنسان ، « طبعاً لو أديت بشكلها السليم » والتي تناهاه عن الاقتراب من الجرائم «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر».

وتجعل عبوديته خالصة لله وحده .. ولا يعود يتأثر بواقعه الفاسد ؟ ولا تعود الماديات تشده إلى الأرض .

صلاة زيد أثرت في نفسه فأبعدته عن مجتمعه الفاسد ، لتلقي على عاتقه المسؤولية المكلف بحملها .

وهذه الصلاة هي التي يريد الله من كل واحد منا ، وكان زيد ورعاً .

ومن الصعب على كل فرد أن يكون ورعاً . لأن الورع شعور داخلي يكتنف الإنسان فيبعده عن كل ما حرم الله .

والورع نتيجة إيجابية للعبادة الحقة .

لأن من يقف أمام الله خاشعاً متضرعاً يطلب العون على نفسه خمس مرات في اليوم الواحد ، يخشى أن يعص الله بعد ذلـك ، لأنه يشعر بـــأن الله يراقبه ، ولأنه يستحي من نفسه ، كيف يخادعها ؟ هـل يعبد الله من جانب ثم يعصيه من كل الجوانب ؟

إنه لأمر مخزي لا يفعله إلا زالت خشية الله من نفسه .

ومن هنا كان ورع زيد مثالاً يحتدى. فأصبح على كل فرد أن يصمد أمـام شهواته ، ولا ينطلق مع تيار الدنيا وزخارفها .. باعتبار إيمانـــه بالله .. وتحسسه بهيمنته على الكون والحياة .. واعتقاده بثوابه وعقابه .

مكان زيد شجاعاً .

والشجاعة تعني تحـدي الظلم والظالمين ، ومقاومة الطغاة ، والوقوف ببسالة في وجه التيار المنحرف .

ونحن نرى هـذه المواصفات تنطبق كاملة في شخص زيد . فنحن نراه يدخل على هشام بن عبد الملك بعـد ان انتشر « إسم زيد » في أرجـاء البلدان الإسلامية ، وبعد ان أخذت مبادىء الإسلام الحقيقية في الإنتشار ، أبرق إلى الشام، بأن هناك تحركاً على مستوى جماهيري يعم أرجاء الكوفة بقيادة زيد .

فاستدعى هشام زيداً .

وقبل أن يدخل زيد إلى مجلس هشام ، أمر هشام الجالسين معـه وجميعهم من رجالات الدولة ، وشخصيات البلاد ، أن يتضايقوا في المجلس كي يجلس زيداً بعيداً .. عند مؤخرة المجلس. ودخل زيد فجلس في آخره ، وفهم زيد أن الخطة المدبرة إنمـا وضعت لإهانته ، فبادر إلى هشام قائلاً : « إتق الله .. يا أمير المؤمنين » ؟

نظرات الوجوم والإرتباك ظهرت على وجه هشام. ونظرات الإعجاب والدهشة بدت في عيون الجالسين .

قال هشام مستنكراً :

ومثلك يا زيد يأمر مثلي بالتقوى !

أجاب زيد : نعم ، إنه لا يكبر أحد فوق ان يوصى بتقوى الله ، ولا يصغر أحد دون أن يوصى بتقواه .

وخيم الوجوم على المجلس بعد هذا الحوار ، ورأى هشام انه قد خسر الجولة ، فقال بعد برهة ليبتعد عن الموقف ، وليزيد في إحراق زيد .

— بلغني انك تؤهل نفسك للخلافة ، وأنت : ابن أمـه ؟!

أجابه زيد : ويلك ! أمكان أُمي يضعني ، والله لقد كان إسحاق « ابن نبي الله ابراهيم » ابن حرة ، واسماعيل « أخاه » ابن أمه ، فاختص الله عز وجل ، ولد اسماعيل فجعل منهم العرب ، وما زال ذلك حتى كان منهم رسول الله .

ثم قام زيد من المجلس قاصداً العراق ، وقـــد أعطى نفسه عهداً ، ألا يلقي هشاما في كنيبة بيضاء أو حمراء .

هكذا يجب أن يعيش الانسان حراً ، عزيزاً وشجاعاً وإلا فما قيمة حياته ؟ وزيـد كان يعرف تماماً إن « أفضل الجهاد عند الله ، كلمة حق عند سلطان جـائر » كما قـال الرسول الكريم عليه السلام :

وعندها يقيم عمله الذي يقوم بـــه من خلال النتيجة التي سيحصلها ، فيرى أن عمله طريق الى الجنة .. والى رضوان الله فـــلا بأس يسجن او يتعذب .. او يكون طريقه مزروعا

بالأشواك .. مـا دامت النتيجة والصفقة رابحة ، وكما يقول الله تعالى :

« يا أيهـــا الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله .. وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خـيراً لكم إن كنتم تعلمون .. يغفر لكم ذنوبكم ، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ، ومساكن طيبة في جنات عـدن ذلك الفوز العظيم ، وأُخرى تحبونها فتح من الله ونصر قريب ، وبشرى للمؤمنين » .

هـــذا من جانب وكان زيد من جانب آخر مثالاً للجرأة ، النضالية فيما بعد .

فلقد جرب سيفه في زمن ساد فيه الخنوع وطغت المادية فيه على قلوب الكثيرين ، وأصبح الناس يسيرون فيه على هـــدى ملوكهم ! وأصبح كل فرد منهم (عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء) .

فثار زيد ونادى بالحرية المسلوبة ، وطالب باسترجاع الحق (القيادة) إلى أهله ، وكان لأهدافه التي دعا إليها صدى إيجابيا في نفوس الجماهير المسلمة .

وعندما قام بالسيف ضد بني أُمية إنضوى تحت لوائه عشرة آلاف من الاحرار . كلهم قالوا يجب أن يعيش بحرية وكرامة .

وتفشل الثورة ، حسب المعادلات العسكرية التي تتحدد في الانتصار او الهزيمة العسكرية المؤقتة ، ويصلب زيـد أربـــع سنوات عاريا ، على كناسة الكوفة .

وهذا يعني : ان زيد قال : (لا) فكان نصيبه ، الاعدام ..

وهذا مصير كل من يرفض.. أو .. يتمرد، السجن.. والتعذيب الاعدام كما ترون أمامكم .

* * *

هذه مواصفات تمتع بها زيد .

وكانت من أسباب إشعال الحقد في النفوس الأبية ومن هنا استحق زيـد ان يؤخذ بثأره ، ويسقط نظام كامل (هو نظام بني أُمية) لأنه قتل حراً من أحرار الامة، وقائداً عابداً ورعا فيها .

وهذه ثلمة لا يساويها شيء .

التخطيط ثم العمل

قال الإمام موسى الكاظم عليه السلام :

« إذا أردت أن تعمل عملاً ، فاعمله بعلم وعقل » .

العمل الفوضوي ينتهي غالباً الى الفشل ، لأنه يخالف سنة الوجود المبنية على أسس من التخطيط والعقل والتدبير .

لذلك يحتاج كل عمل من أعمال الحياة الى تخطيط مسبق ، ثم وضع خطة متكاملة وشاملة تضمن نجاح ذلك العمل ، وتحقيق الهدف الذي أُنشىء من أجله وبشكل كامل .

ويدخل في نطاق مستلزمات الحياة الحاجة الى التغيير ، وهو ما يطلق عليه اسم الثورة ، فهي أيضاً تحتاج الى عناصر تضمن نجاحها ، واستمرار فعاليتها في الحياة . أما العناصر التي يجب أن تتوفر في الثورات فهي ثلاثة :

الأول : العقل المفكر ، الذي يدير دفة الثورة بعقله .

الثاني : الأرضية الصالحة التي تنطلق منها الشرارة الاولى للتغير .

الثالث: الفئة المجاهدة التي تضحي بنفسها في سبيل إنجاح الثورة .

ويجب أن نعرف أن هذه العناصر مترابطة بعضها بالبعض الآخر ، ولا يمكن فصل أي عنصر عن الآخر ، لأن الفصل يعني فشل الثورة ، مهما كانت قوة تفكيرها ، أو صالحية أرضها ، أو قوة أبطالها .

خذ مثلاً عملياً لثورات تاريخية ناجحة :

ثورة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

لقد كان هو العقل المفكر لها ، والقوة المخططة لعملية التغير الجذري ، الذي عمله في مكة .

وكانت مكة أرضية ملائمة تماماً للعمل ، نظراً لوجود الطبقية .. والعنصرية .. هناك ، مما جعل نفوس طائفة كبيرة من الموالي (العبيد) تحقد على الوضع القائم وتتقبل الدعوة الجديدة وتنضوي اليها .

وكانت العناصر المضحية هي : الإمام علي ، وخديجة بنت خويلد أم المؤمنين .. وغيرهما .. ولذلك نجحت الثورة ، وحققت أهدافها ، وامتدت آثارها حتى اليوم .

وثورة الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، شاهدتان ، يحكي نجاح ثورة توفرت فيها القوة المطلوبة . فالقوة المفكرة والمخططة للثورة كانت الإمام الحسين عليه السلام ، أما الأرضية الصالحة ، فتمثلت في أرض الكوفة بمن عليها من الجماهير الحاقدة على النظام الاموي الجائر .

وأما العناصر المضحيـــة فهم اولئك الشباب ، واولئك الكهول ، واولئك الأطفال... الذين خاضوا المعركة مع الباطل دون خوف أو وجل ، ودفعوا حياتهم ثمناً لصمودهم على الحق ، ولثورتهم على الواقع الفاسد . وبهـذا نجحت ثورة الإمام الحسين عليه السلام ، فامتدت ثورته في أعماق الأرض والزمن ، وبقيت رمزاً للحرية .. والكرامة .. والفداء .

وثورة الشهيد زيد بن عـــلي عليه السلام ، مرّت بنفس المراحل والأدوار ، واجتمعت فيهـا عناصر الثورة الناجحة ، ولذلك حققت هدفها ، وأسقطت النظام الحاكم .

فالعقل المفكر لثورة زيد هو عمه الإمـــام جعفر الصادق عليه السلام ، هذا القائد البطل الذي حارب الواقع الاجتماعي الفاسد ، وكافح الواقع السياسي المهترىء .. فكان أن استشهد — وهو يجاهد في الساحة — على يد أحد الحكام الجائرين .

والإمام لم يدخل المعركة بنفسه ، لأن دخوله فيهـــا يعني إيجاد المبرر المناسب للسلطة لكي تقضي على أهل البيت .

وتعني أيضاً فقدان الامة الموجّه الحقيقي لها ، والذي يعمل على استمرار الخط الثوري في وجه النظام الجائر .

ولكن الإمام عليه السلام خطط للحركة بدقـة متناهية حسب ما يتطلبه منه عصره في ذلك الوقت .

فجعل التقية (السرية) مبدأ من مبادىء الحركة فقال :

« لا دين لمن لا تقيّة له » .

وذلك لأن استخبارات السلطة كانت بالمرصاد لأي تحرك

يقوم به أي فرد شيعي .

ومن هنـا فقد كان قائد العملية (زيد) متخفياً عن أنظار السلطة ، وكذلك كان تخطيط الثورة وكل ما يرتبط بها .

وجعـل الإمام استجماع القوى ، وتنظيم الأفراد ، بندين أساسيين من بنود الثورة ، لأنه لا يمكن لأية ثورة أن تقوم بدون قاعدة منظمة متماسكة تقف عليها .

فكانت الجماهير الحانقة على النظام هي القاعدة المطلوبة .

وهكذا بلغ عدد المنضمين في سلك جيش زيد مـا يربو على عشرة آلاف رجل ، ممـا يدل على الروح التضحوية التي كانت موجودة في نفوس الجماهير في ذلك الوقت .

هكذا كان الإمام يخطط .

وقرر الإمام أن تكون الكوفة مركزاً لتفجير الثورة ، أي أنها هي الأرضية المناسبة للثورة ، طبعاً بالإضافة الى الحقد الذي كانت الجمـاهير تحمله في قلبها على (النظام الحاكم) ، فكان اختيار الكوفة لأسباب :

أ ـ إن الكوفة كانت مركزاً للتواجد الشيعي ، ومنطلقاً للثورات الشيعية الرافضة للظلم والفساد .

فقد بذر الأئمة بذور الرفض والثورة في عروق المخلصين من شيعتهم ، فصار اولئك الأحرار مأوى لكل مظلوم ، وحصناً لكل محروم .

وفي مقابل ذلك ، صاروا مصدر قلق للحكام ، وعنصراً من عناصر إزعاجهم ، مما اضطرهم الى ملاحقتهم .. وتشريدهم ..

ونصب المشانق الحمراء لهم .

ب – إن الكوفة معقل الثوار الهاربين من بطش السلطة الاموية ، فأصبحت الكوفة بعد فترة وجيزة من استشهاد الإمام علي ، خليّة عاملة للحركات المناوئة ، وكانت الحركة الشيعية هي أنشط الحركات العاملة في الكوفة ، كما كان انطلاق معظم الثورات الشيعية منها .

كما اضطر حكام بني أمية الى أن يرسلوا الى ولاتهم أن يعاملوا الفرد الشيعي معاملة متجبر منتقم ، وقد كتب معاوية الى أحد ولاته بالكوفة :

« خذوهم – أي الشيعة – بالتهمة ، واقتلوهم بالظنة » .

فأخذ ولاة بني أمية يأخذون عباد الله قتلاً وتشريداً ، حتى ضجّ الناس من الحكم ، وأرادوا أن يتخلصوا منه بأي صورة ممكنة .

ج – بُعد الكوفة عن عاصمة الحكم (الشام ، وبالتحديد دمشق) ، مما يجعلها بعيدة عن عمليات غسيل الدماغ ، التي يجريها (الإعلام السلطوي) في أدمغة الناس ، وأيضاً يجعل ذلك فرص النجاح للثورة أكثر بكثير من البلاد التي تقع تحت نفوذ الخليفة مباشرة .

ولقد كان اختيار الإمام موفقاً ، فلقد اشتعلت تلك الثورة حتى أحرقت العرش الاموي ، بعد فترة غير طويلة من نشوبها .

ويبقى العنصر الثالث : وهو القائد المضحي ، والعناصر المضحية . واختار الإمام عمه زيداً للقيام بتلك المهمة الصعبة ،

نظراً لأن الشهيد قد تلقّى اصولها من والده وأخيه الإمام الباقر عليهما السلام .

واستعد الشهيد للمهمة الصعبة الملقاة على عاتقه ، فبدأ بتهيئة نفسه لذلك ، وأول خطوة قام بها هي إخفاء نفسه عن أنظار السلطة ، والظهور فقط أمام رجال الثورة .

كما بدأ بتنظيم القوى ، وتكتيل الجموع في الكوفة .

وكان صدى دعوة زيد للقيام والتحرك قوياً جداً ، فلقد استجاب له عشرة آلاف رجل .

هـــذه هي عناصر ثورة زيد التي ما زال صداها في اذن التاريخ . وهكذا كان تخطيط الإمام للثورة .

ولذلك نرى الإمام ، عنـــدما فشلت الثورة عسكرياً ، يقول :

(رحم الله عمي زيداً ، لو ظفر — أي انتصر — لوفى ، إنما دعا الى الرضا ، وأنا الرضا) .

وكان يقول أيضاً ، تخليداً وتأييداً لتلك الدماء التي سفكت :

(أشركني الله في تلك الدمـــاء ، مضى والله زيد عمي ، وأصحابه شهداء ، مثل مـــا مضى علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه) .

من هنا يجب أن نعرف أن كل ثورة في التاريخ لا بد وأن يدعمها بطل شريف يُحمـــد ساعيه ، تهدف الى إحقاق الحق والحرية ، ولا بد لها من الانتصار ، مهما واجهت من عقبـــات في الطريق .

هكذا كانت الثورة

عندما تسود الحرية نفوس بلد معين، فإن هذه النفوس ترفض كل رذيلة أياً كان نوعها، ذلك لأن النفوس الحرة مجبولة على حب الخير ، ورفض الشر .

لذا ، لم يكن من المستغرب في تاريخ أُمتنا الإسلامية المجيدة أن تقوم ثورة أو ثورات متعاقبة في سبيل مبدأ، أو هدف سام، يضحي في سبيله بالأرواح والأنفس .

فكيف بقيادة تسلب ، أو حق يضيع ؟

إن هذا يتطلب دماءاً دائمة الجريان لا ينضب معينهـا حتى يعاد الحق إلى نصابه ، إمتثالاً لقول الله تعالى :

(لا تجد قوماً يؤمنون بالله ، واليوم الآخر ، يوادون من حاد الله) .

والشاهد الحي على ما قدمنا من إستمرارية الرفض،هو الإمام

الحسين بن علي – عليهما السلام – فلقد قدم الحسين نفسه ضحية للحق والحرية المسلوبة .

ولم ينضب النبع المصبوغة بالدم بعد استشهاد سيد الشهداء ، بل استمرت في تدفقها ، فتبع الحسين في ذلك رجال باعوا أرواحهم رخيصة لله ، فقام سليمان بن صُرد ، وسميت ثورته بثورة التوابين .

وتبعه المختار مخططاً لثورة استهدفت النظام المحلي ، فأزاله وقتل قتلة الحسين ، وحكم أربعة سنوات في الكوفة .

ومن بعد ثار الشهيد زيد بن علي ، ليعلنها حرباً شعواء على نظام الحكم . قام ثائراً على الأوضاع الفاسدة ، ومطالباً بإزالة الحكام الجائرين ، وتطبيق قانون الله في الأرض .

ودنت أصداء ثورة زيد في كل مكان ، فصارت متنفساً لكل محروم ، وعوناً لكل مظلوم ، من قبل جميع الجماهير المسلحة . وقد لاقت ثورة زيد تأييداً عاماً ، وذلك للأسباب التالية :

أولاً : النقمة الجماهيرية « الشعبية » .

النظام العشائري الحاكم كان يهدف إلى إعادة أمجاده الجاهلية السابقة على حساب الإسلام ، بخطة وضعها لهم رأس الفتنة في الإسلام « أبو سفيان » .

وهذه الخطوة تعارض فكرة القيادة الإسلامية التي تريد الخير والرفاه للجميع ، ولذلك بدأت تقاوم من قبل الشعب المسلم ..

فكان النظام يأخذ هؤلاء الأحرار بالقتل والتشريد ، حتى عم السخط والنقمة أرجاء المملكة الإسلامية على النظام الفاسد ، خصوصاً إذا علمنا أن معظم الثوار هم من الأتقياء الصالحين ، أمثال : حجر بن عدي ، وسليمان بن صرد ، وزيـــد بن علي (رضوان الله عليهم) .

هذا بالاضافة إلى أن النظام أراد من أجل إنجاح مخططه أن يستعمل وسيلة التفقير الجماعية ، عملاً بالمثل المشهور «جوّع كلبك حتى يتبعك » فكان يستنزف طاقات الامة الاقتصادية لشهواته وملذاته .

كما كان يستعملها في إذكاء نار الفتنة بين القبائل ، لينشغلوا بالقتال ، عن التفكير في قضايا الحكم ، في مقابل حفنة مال يعطيها النظام لرئيس القبيلة .

وكان من نتيجة ذلك ، أن وعت الامة لما يدور حولها من مخططات ، فتوقف نزيف الدم ، وبدأ الجميع بالإئتلاف لمواجهة العدو الحقيقي وهو النظام ، بجهود بذلها زيد بن علي .

من هنا نعرف إن الأساس الأول للثورات في العالم هو إيجاد النقمة الشعبية ضد النظام ، وضد الواقع الفاسد .

ثانياً — تأييد مراكز القوى للثورة :

الكثير من زعماء المسلمين أيدوا الثورة وباركوها ، مما جعل تقبل الجماهير للثورة وأهدافها سريعا .

وعلى رأس الزعماء والقادة الدينيين الذين أيدوا ثورة زيد هو الإمام الصادق عليه السلام ، لقد وضع الإمام بنفسه خطة الثورة

كما أشرنا سابقا ، فكان ذلك بالطبع شيئا سريا، ولكن الإمام أيد الثورة علنا على الصعيد الإعلامي فانتشرت بين الجماهير الكثير من الروايات في حق زيد عن جده الرسول الأعظم ، وأبيه ، منها قول رسول الله للحسين بن علي عليه السلام .

(يا حسين يخرج من صلبك رجل ، يقال له زيد ، يقتل شهيداً ، فإذا كان يوم القيامة يتخطى هو وأصحابه رقاب الناس ويدخل الجنة [1] .

هذه الرواية وغيرها أخذت في الإنتشار قبل الثورة ، مما حدا بالكثير من الرجال المؤمنين للالتحاق بها، وتسجيل اسمائهم في سجل الثائرين .

وكان الإمام قبل ذلك يرسل المبشرين بالثورة إلى أماكن التواجد الشيعي ، ليخبر القادة هناك بالحركة فيرسلون بدورهم الجنود ويعدون العدة إستعداداً للثورة .

وظهر هذا التأييد الى السطح بعد استشهاد زيد عليه السلام حين اعلن صراحة وعلى الملأ نبأ تأييده السابق والحاضر للثورة ولأهدافها .

ثالثا : إنها كانت تدعو لأهداف جوهرية تمس واقع الفئات المحرومة مثل : المساواة في الحقوق والعطاء ، والدفاع عن المستضعفين ، واعطاء المحرومين حقوقهم المسلوبة .

كما كان من أهداف الثورة جهاد الظالمين ، وتقسيم الفيء

---

(١) البحار – ج ٤٦ .

(الاقتصاد) بالتساوي .

مَن مِن الشعب يحب أن يكون مظلوما ؟

ومَن لا يحب أن يكون له ناصر وحام يحميه ويحمي مصالحه؟ إنها أهداف إنسانية دعى لها زيد ، ولذلك حصلت على التأييد المطلق من جميع الفئات ، وسنبين ذلك في مجال آخر ، أما سير المعركة فتمثل في عملية مناورة عسكرية قام بها زيد لعدم تكافؤ القوى بين الطرفين ، إقرأ معي بايجاز سير المعركة .

بعد علم النظام القائم بالثورة ، وعن التنظيم الداخلي المناهض الذي قاده زيد ، حاول زيـــد أن يخرج قبل إحتواء عناصر الثورة من قبل النظام ، لقد كان موعد إعـلان الثورة هو أول يوم في صفر سنة ١٢٢ هـ ، وكان شعار الثورة هو (ما منصور أمت) ، ولمـا علم النظام بذلك ، أرسل احد جواسيسه الذي كان خراسانيا يدعي الولاء لأهل البيت .

وعلم الجاسوس المكان، وأخبر الوالي ، فأرسل الأخير دورية لمهاجمة الدار التي يسكنها زيد ، ولم يعثر عليه لأنه كان في حالة تنقل مستمر ، ولم يكن احد يعلم عن مكان ثابت له .

هنا اخذ الوالي يرسم خطته الخبيثة حيث :

جمع اهل الكوفة « وهي القاعدة التي ستنطلق منها الثورة إلى كافة أرجاء الدولة الإسلامية » وصاح منادياً :

« من وجد خارج المسجد فقد برئت منه الذمة » .

ثم بدأ البحث عن زيد .

وفي نفس الوقت رسم زيد خطة حولها إلى عمـــل سريع ومباشر ، فقد أمر قائد جنوده ، بـــأن يجمع الجنود ، ويتهيأ الجميع للانقضاض على مراكز الحكم ، قبـل الموت على الوسادة ، وأشعلت النيران وصاح المنادي « يا منصور أمت » وبمثل البرق تجمع ما يقارب من خمسمائة سائر ، في الوقت الذي كان فيه جيش النظام يبلغ أربعة آلاف جندي مدججين بكافـــة الأسلحة ، وأحدث التجهيزات العسكرية .

وابتدأت المعركة ، واستمرت يومين كاملين ، كان النصر فيها حليف القوى المؤمنة ، ولكن للانحسار في عدد الجنود ، والتعب بدأ ينخر في كيان الطلائع المؤمنة ، بسبب عدم تكافؤ القوى ، ويأتي سهم طائش ويستقر في جبهة الشهيد زيد ، ليقضي حياته وهو متشحط بدمه في سبيل الله ، وينتهي النزال بانتصار القوى الظالمة ، وهزيمة الطلائع الرسالية عسكرياً ، ولكن مـــا قيمة النصر العسكري ، إذا كان في مقابله نصر للمبادىء لقد انتصرت السلطة عسكرياً ، ولكن زيـــد انتصر بمبادئه عليها . ويعلق جسد الشهيد على الكناسة ، ليظل رمز الثائر الصامد ، وليعلن لكل من يريد الحرية بـــأن عليه أن يستعد للتضحية في سبيل هدفـــه .. حتى لو جاء ذلك على حساب حياته ، وإلا فالحياة الذليلة بانتظاره .

أساليب العدو في قمع الثورة

الثائر الرسالي الذي يخوض المعركة مع عدو الله بسيفه ، لا يهمه الانتصار العسكري الجزئي المؤقت ، على إعتبار أنه دخل مع الله في صفقة رابحة لا يريد بها سوى الجنة ، قال الله تعالى :

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بـأن لهم الجنة » ، فهو يصنع كل ما يملك من أجل نصرة الهدف الإلهي الذي ناد وضحى من أجله ، ولا يهمه إلا أن ترتفع راية الله خفاقة تظلل الأرض ، وتفيض عليها الخير والبركة .

كما يضع في حسابه أن قتله وإهدار دمه في سبيل الحق يعني استمرارية خط الرفض والثورة ، ما دام هناك متسلط جائر على الأرض واستمرارية النضال الرسالي من أجل الله .. والعدل .. والحرية .

وبالنسبة إلى ثورة زيـــد فقد خاض خمسمائة مناضل بقيادة الشهيد زيد معركة إنتحارية مـع مرتزقة هشام بن عبد الملك ،

وفضلوا الموت على الحياة الذليلة ، والتي عاشها فيما بعد كل من تخلف عن ركب الثورة . لم يكن هدف زيد وأصحابه هو الانتصار الآني المؤقت ، ولكننا مع ذلك لا بدّ أن نتساءل ونقول :

إن مخطط زيد في الثورة كان دقيقاً جداً ، وإن من وضع التخطيط هو عسكري محنك ، وإن عناصر نجاح الثورة كانت متوفرة لديها ، فكيف فشلت الثورة في منطق الموازين العسكرية الظاهرية ؟

– وما هي أساليب العدو في إفشالها ؟

لقد إلتجأ العدو إلى عدة أساليب : استطاع من خلالها أن يفشل الثورة التي كادت أن تطيح بعروشه الظالمة .. وقد قام العدو في سبيل ذلك بخطوتين :

١ – مباغتة الثورة والهجوم عليها .. قبل أن تستكمل جوانبها وأطرافها ، وقبل أن تعد نفسها – وبشكل نهائي – للانقضاض على الحكم الجائر مما أدى ذلك إلى « فصل الثوار بعضهم عن البعض الآخر » .

لقد علم والي الشام في الكوفة بالثورة ، وموعد قيامها ، فحاول أن يتخلص من الرؤوس الكبيرة ، ولما كانت كوادر الثورة غير معروفة ، لأنها تحافظ على مبادىء السرية والكتمان ، لذلك كان من الصعب على السلطة أن تميز الثوار عن غيرهم ، ولذلك إلتجأت إلى خطة خبيثة .

لقد صاح مؤذن في مأذنة الكوفة « من وجد خارج المسجد

فقد برئت منه الذمة » وبني على أبواب المسجد ، وبدأت عملية فرز الثوار ، والبحث عن القائد الأعلى للثورة ، وهو زيد بن علي ، وداهم رجال الشرطة أكثر من مكان فلم يعثروا عليه ، فجأة ظهر شعار الثورة ، والناس في المسجد ، وقد تقدم خروجها عن موعدها باسبوع .

واجتمع ما يقارب من خمسمائة مناضل أمام قوى الشرك والطغيان ، وكان باقي الثوار محصورين داخل المسجد ، والأبواب مقفلة عليهم .

وأمام هذا العدد الهائل من جنود الشام لم يستطع زيد ورجاله ، والحالة هذه أن يحرز الانتصار ، بل كان جنوده من قبل الوالي ، سبباً في هزيمته العسكرية ، هذا من جانب .

ومن جانب آخر ، كان تطور الأوضاع بهذا الشكل السريع والذي أدى إلى قيام الثورة قبل موعدها المحدد سبباً في عدم وصول الإمدادات الخارجية إلى الثورة ، لقد اتفق زيد مع عناصر الثورة خارج الكوفة أن يأتوا إليها ساعة الصفر المحددة مع إمدادات مادية ، ولكن اضطرار الثورة إلى المجابهة قبل الموعد ، فإن أشبه ما يكون بسقوط الجنين قبل تكامله من رحم امه .

من هنا نجد ان كثيراً من العناصر الثورية كانت « في وقت المجابهة » في طريقها إلى الكوفة .. ولكنها سمعت – وهي في الطريق .. أنباء القضاء على الثورة .. فرجعت إلى بلادها استعداداً لعمل جديد – إذ لو كانت ترد إلى الكوفة في الوقت

الذي أعلنت فيه السلطات الظالمة « حالة الطوارىء » في البلاد، وأخذت تلاحق فلول الثوار اختفوا — فإن ذلك يعني القضاء عليهم دون أي داع إلى ذلك ، في الوقت الذي كان بإمكانهم العودة الى بلادهم للعمل فيها من جديد ، من هنا نجد ان أكبر ضربة وجهتها السلطات للثورة هي مباغتتها قبل نضجها ، وفصل عناصرها عن البعض الآخر سواءاً في الداخل « حيث كان الكثير من الثوار محبوسين، داخل جدران المسجد » أو في الخارج «حيث لم يكن العناصر الاخرى قد وردت الكوفة بعد».

٢ — وبالإضافة إلى ما عمله العدو أولاً من إحاطة القوى الثائرة وحصرهم داخل المسجد ، فقد مارس أيضاً خطة إعلامية مضادة قبل المعركة وفي إبان الصراع . فمن المعلوم أن زيد شكل جيشاً إئتلافياً اشتركت فيه طبقات الامة على اختلاف أفكارهم واتجاهاتهم ، وكان يجمعهم هدف واحد هو الإطاحة بالنظام ، فكان الشيعي مع السني مع المعتزلي يقاتلون جنباً إلى جنب تحت لواء زيد ، ولما كان بعض الجنود يحمل وعياً سطحياً ، لذا فقد اعتزل البعض عنه عندما سُئل زيد عن رأيه في أبو بكر وعمر ، ويجب أن نعرف أن الخطة رسمتها السلطة لهذا الغرض، ويتلخص فيما يلي :

أرسل والي الكوفة في أثناء المعركة رجلاً مرتزقاً سأل زيد عن رأيه في أبو بكر وعمر .

ويجدر بنا أن نقف هنا قليلاً :

فالموقف حرج للغاية، الجيش الشامي يحاصر الثوار، والقوى

غير متكافئة ، لذا كان من الصعب على زيد وهو في هذه الحالة أن يجيب بالحقيقة ، بل عليه أن يرضي الأكثرية من جنوده في سبيل الهدف الاسمى ، أجاب زيد :

[رحمهما الله ، وغفر لهما ، ما سمعت أحداً من أهل بيتي تبرأ منهما] . وكان يريد بذلك كسب ود الطوائف المشتركة معه في القتال، فتفرق عنه جمع . . وروّج النظام كلام زيد على الاشهاد، وبالخصوص الشيعة فأصاب البعض التقاعس ، فانهزموا من ساحة الحرب ، وعرف الآخرون الحقيقة فبادروا للالتحاق بركب الثورة .

هـذه هي المرحلة الثانية التي اعتمدها النظام الحاكم . وهي خطوة يتبعها حكام اليوم المتجبرين ، عندما يرون واعياً مؤمناً يؤدي مسؤولياته ، ويناهضهم ويعمل ضدهم، يلصقون به التهم، ويهرجون ضده بالإعلام، ويحاولون أن يبعدوه عن الرأي العام.

ويـــأتي سببه ثالث نعتبره سبباً لفشل الثورة العسكري ، ذلك هو عدم تكافؤ القوى ، فجيش زيد لا يتعدى الخمسمائة ، في حين ان جيش عدوهم كان أربعة آلاف رجل ، مدججين بالسلاح ، وقد هزمهم جيش في بداية المعركة ، لكن النجدات بـــدأت تتوافد عليهم حتى كثر القتلى من جيش زيد ، إلى أن انتهت الثورة بإصابة زيد بسهم في رأسه، حيث استشهد رضوان الله عليه .

واحب أن أقول :

إنه ليس من المهم أن تنتصر ثورة ما عسكرياً ، الذي يعتبر

بدوره نصراً آنياً ، طالما ان هناك هـــدف سام يراد تحقيقه ، وتلك هي الحقيقة فزيد أوصى للامة ، بأن الحياة الكريمة لأي امة ، ما دامت تحمل سيفها بيدها ، ورسالتها بيد أخرى ، لكي تنير لها دروب الحياة ، إذن فهدف زيد تحقق ، فبعد موته قام إبنه يحيى من خراسان ، وإبنه عيسى ، وتوالت الثورات العلوية ضد بني أمية والعباس حتى سقطا تحت سنابك خيول الثائرين ، وهذا مصير ينتظره كل حاكم ظالم جاحد لحقوق شعبه ، يلعب بالقيم ، ويستهزىء بالمبادىء ، وينهب حقوق جماهيره المحرومة ، ان مصيره : هو السقوط والإنهيار — ان عاجـــلاً أو آجلاً — ولكن ذلك لن يتحقق — بالطبع — بمعجزة من السماء ، وإنما يتحقق على سواعد الثوار المجاهدين .

أثر الثورة في إسقاط النظام

وأخيراً وبعد جهد مضنٍ ، ومحاولات كبيرة .. بذلها العدو سقطت ثورة زيـد ، ولكن سقوطها تمخض عن إسقاط النظام الاموي الجائر .. نفسه .

إذن فقد تحققت امنية الثائر العظيم ، وبقيت امنية أُخرى لم تتحقق كان هـــدف الثورة هو إسقاط النظام واستبداله بنظام إسلامي عادل . لقد كانت دعوة الثورة هي الرضا من آل محمد، ولقد قال الإمام الصادق (.. وأنا الرضا) .

فإذاً كان الغاية من ثورة زيد هي إسترجاع الخلافة الإسلامية بعد إن انحرفت من مسارها الصحيح الذي حدده لها الرسول الأعظم ﷺ لمدة تزيد على نصف قرن .

وكان من نتيجة إنحرافها مجيء يزيد بن معاوية إلى كرسي القيادة، وارتقاء هشام بن عبد الملك إلى عرش القيادة الإسلامية، واشبـــاه هؤلاء الاوباش الذين شوهوا صورة الاسلام الحقيقي

بأفعالهم الشيطانية ، وأعمالهم الاجرامية .

وسقط هذا النظام بفعل الهزة الجماهيرية العنيفة التي أحدثتها ثورة زيد في أوساطهم .

ولكن كيف سقط هذا النظام ؟

أحدثت ثورة زيد تغييراً جذرياً في التاريخ الاسلامي، وذلك لتمتعها بالمواصفات اللازمة لنجاح الثورات ، وكان لتوفر سببين في ثورة زيد جعلت الجماهير تنفجر من الغيظ ، وجعلت قلوبهم تشتعل من الحقد ، حتى استعد الجميع لإحداث انتفاضة كبرى غيرت مجرى التاريخ كله .

أما السببان فهما :

أولا ـ شخصية الشهيد :

من هو الشهيد ؟!

إنه زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

زيد هذا يصلب على كناسة الكوفة !!

إنه لأمر مهول ...

وأمام الجسد العاري يمر على الناس شريط حياة زيد ، يمر في أذهانهم أبيضاً .. ناصعاً .. فيختنقون بالعبرات .

ان الشعب المسلم لا ينسى شخصية زيد المؤمنة .

انه ذلك المؤمن الرسالي المحبب للنفوس ، هو ذلك المؤمن الذي سمت روحه الى ملكوت الله قبل رحيله عن الدنيا .

لقد مثل زيد السمو الروحي بأجمل صوره فأضفى على سلوكه أثراً إيجابياً في تعامله مع الآخرين ، ولا يستطيع الفرد العادي أن يصله إلا بعد أن يتجرد عن تشبثه بالأرض .

هذه حقائق لا ينساها الشعب المسلم عن الشخصية العظيمة التي تمثلت في الشهيد زيد بن علي .

وبعدها يصلب عارياً على كناسة الكوفة أربع سنوات !

إنه لأمر عظيم على كل مسلم غيور حر .

وثار الشعب — وبدأ الجميع بالتحرك — وكان زيد رائد ذلك التحرك والسراج الذي أنار الدرب للثائرين ، لقد كان مقتل زيد قنديلاً أضاء للأحرار طريق العز والحرية .

وكان لمقتله أثره العكسي ومردوده الايجابي على المسلمين ، فتنمّر الجميع ضد السلطة ، في حين كان هدف السلطة من ذلك تخويف الجماهير منها .

وبدأ الجميع بالانتماء الى الحركات الرافضة للنظام ليبدأوا عملية الهدم والبناء . وكان هذا هو المردود الايجابي ، بعد الهزة التي أحدثها زيد في أوساطهم ، اذن فلقد كان لمقتل زيد أثره الايجابي في إسقاط النظام .

ثانياً ـ تأييد الأئمة للثورة :

وكان العامل الثاني لإسقاط النظام . فكان كل إمام يأتي يترحم على زيد ، وكان لهذا أثره الايجابي على سلوك المسلمين .

فالأئمة بدأوا يوجهونهم للثورة بطريقة غير مباشرة ، وهذا يعني أنه لا بد من التحرك. والفترة التي عاشتها الثورة، كانت في عهد الامام الصادق عليه السلام لذلك فاننا نستنتج حقيقة من خلال أعمال وأقوال الامام الصادق عليه السلام وهي اشتراكه في الثورة عن طريق مباشر ، فكان هو الموجه والمخطط لهـا ، فلنرى ما قاله وعمله الامام تجاه الثورة :

قام الامام بتوزيع ألف دينار على عيال من أُصيب مع زيد في المعركة ، على اعتبار أنها عوائل فقدت عائلها في معركة مصيرية بين الحق والباطل، وهذا العمل لا يمكن أن يتم عشوائياً لأن الامام مسؤول أمام الله .. وأعماله تعتبر حجة على عباده ، فتوزيعه للأموال دليـــل على رضاه عن الثورة وعن الثائرين المشتركين فيها .

ثم لنرى العمل الاعلامي الذي قام به الامام الصادق عليه السلام تجاه زيد وثورته :

دخل سبعة رجال على الامام الصادق عليه السلام من بينهم عبدالله ابن سبابه فدفعوا اليه كتاباً، فأخرجه وقرأه فبكى .. ثم قال:

« إنا لله وإنا اليه راجعون.. عند الله أحتسب عمي زيداً إنه كان نعم العم .. ان عمي كان رجلاً لدنيانا وآخرتنا .. مضى والله عمي شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول الله .. وعلي .. والحسن .. والحسين .. صلوات الله عليهم أجمعين .

وقال أيضاً :

أشركني الله في تلك الدماء.. مضى والله زيد عمي وأصحابه

شهداء مثل ما مضى عليه علي بن أبي طالب وأصحابه » .

وعن الامام الرضا في جوابه للمأمون عندما سأله عن زيد قال الامام :

« ان زيد بن علي كان من علمـاء آل محمد .. غضب لله عز وجل فجاهد أعدائه .. حتى قتل في سبيله » .

من خلال الروايات الكثيرة المتواترة في حق زيد نستنتج حقيقة واحدة .. إن الكثير من الشيعة وغير الشيعة، في السابق كانوا يعتقدون أن الأئمة خلقوا ليعلموا الناس على العبادة فقط .. وأن مجال اختصاصهم يحدده الفقه .

والأئمة بدورهم يزيلون هذا الاعتقاد الخاطىء بأعمالهم السرية وأحاديثهم وأقوالهم .. العلنية .. التي تظهر للمجتمع بأن الأئمة متفاعلون مع كل مجالات الحيـاة ولذلك نقرأ في زيارة الجامعة :

« وأنتم أركان البلاد .. وساسة العباد » .

إن البعض يتصور أن زيداً خرج من دون إذن الامام !.

وأن الامام الصادق لم يحارب السلطة !!

وهذا تصور خاطىء وبعيد عن الحقيقة .. فكيف يترحم إمام معصوم على رجل خرج من دون رضاه ؟.

وكيف يطلب من الله أن يشرك دمه بدم من خرج بدون إذنه ؟ ثم من قـــال أن الامام الصادق عليه السلام لم يحاربه السلطة عسكرياً ؟.

إن ثورة زيد هي الناطق الرسمي بحركة الامام ضد السلطة.

إن عمل الامام فيها هو تخطيط للثورة التي نفذها أحد كوادر

الامام ، لأن الامام لا يستطيع الدخول مباشرة مع العدو في معركة مصيرية لسبب واحد ، وهو أن النظام سيتخذ من محاربة الامام العلنية له وسيلة للقضاء على بيت النبوة ومعدن الرسالة .. والقضاء عليهم .. يعني انقطاع المد الرسالي لامة محمد .. فالامام لم يحارب كي يضمن استمرارية هذا المد ، لذلك نرى أن أي إمام لم يدخل معركة مع عدو ويقتل فيها إلا الامام الحسين .. أما باقي الأئمة فكانوا يصنعون الثوار .. يربون الرجال القادرين على إدارة المعركة ، وهذا العمل أعظم من ثورة ، وبالاضافة الى ذلك فإن الامام الصادق عليه السلام كان يريد أن يتحرك على كل الأصعدة ولم يكن يريد أن يحصر نفسه داخل حدود العمل العسكري وحده .. الامام .. كان مسؤولاً عن إيقاظ الروح الجهادية في الامة .. وإعداد الناس للمعركة الفاصلة بين أعداء الله والانسان .

الامام كان مسؤولاً عن نشر الفكر الرسالي السليم فيما بين الناس وكنس الأفكار الخاطئة « سواء المتمردة منها – أو المتزمتة من أدمغتهم ، الامام كان مسؤولاً عن مقاومة التيارات التحريفية والالحادية التي أخذت تنتشر في أوساط الامة مثل الحركة الصوفية ، والحركة الايصانية ، نسبة الى أبي شاكر الايصاني ، الذي كان زنديقاً من الزنادقة وغيرها .

الامام كان مسؤولاً .. وبكلمة واحدة .. عن أعداء الامة ثقافياً .. وتربوياً .. واجتماعياً .. وسلوكياً .. و .. و .

كان مسؤولاً عن إصلاح الواقع الاجتماعي الفاسد ، بالاضافة

الى مسؤوليته عن إصلاح الواقع السياسي المهترىء .

وكان يريد أن يحمل على عاتقه كل هذه المسؤوليات .. ولم يكن يريد العمل العسكري وحده .. لأن العمل العسكري من دون إصلاح نفوس الناس وأرواحهم لا يفيد شيئاً .

من هنا فقد قام الامام وبشكل مباشر بالإصلاح العام للامة وأوكل مسؤولية الثورة على الواقع السياسي الفاسد الى أحد طلائعه الرساليين والذي كان عمه « زيد بن علي » .

وليس ذلك فقط بل كان الامام (علي) يشكل الدعم الخفي للثورة التي فجرها زيد سواء عن طريق العمل الإعلامي، أوحت الناس على الالتحاق بصفوف الثورة وغير ذلك من أنواع الدعم.

إذن فإن أقوال الامام الصادق عليه السلام وأعماله تدل على ارتباطه بالثورة وارتباط الثورة به .

ولشخصية الشهيد الفذة .. وارتباط الأئمة بالثورة .

فقد تشجع الكثيرون من المتقاعسين للاشتراك فبدأوا بالانضمام الى سلك المجاهدين والمناهضين للدولة الأموية .. فقامت الثورات وعمت النقمة الشعبية أرجاء البلاد الاسلامية .. وسيطر الحقد المقدس باتجاه النظام الفاسد على المسلمين .. لأن الظلم والاضطهاد لم يفسحا مجالاً للجماهير كي تتنفس .. وجاءت ثورة زيد لتضع الوقود على عود الثقاب المشتعل ، فيبدأ الكل بالاشتعال .. فكثرت الثورات .. وتتابعت الانتفاضات .. حتى أنهكت الدولة الأموية .

فلقد ثار يحيى بن زيد في خراسان بعد مقتل والده .

ثار يحيى في خراسان الأرض المشبعة بروح التشيع ، وتلقى يحيى الدعم الكامل.. عسكرياً.. ومادياً.. وعددياً .. ولكن الثورة ماتت في ظروف وأوضاع معينة .

فكان من نتائجها تأجيج نار الحقد أكثر فأكثر على النظام ، فسواد أهالي خراسان (لبسوا السواد حزناً على يحيى) وزاد في اشتعالهم وثورتهم صلب يحيى .

واستمر الحقد يغلي .. ويغلي .. في نفوس الناس .. وبعد مدة غير طويلة تم سقوط النظـــام الأموي الخائن واندثاره .. الى الأبد .

.. و .. كان ذلك أثراً من آثار ثورة زيد .

نحن والثورة

لعل من أبرز الظواهر التي خلفتهـا ثورة زيد بن علي عليه السلام هي النقمة الجماهيرية ضد النظام .. والتي سادت الامة الاسلامية بعد مقتل زيد . وليس ذلك فقط ، بل لقـد أججت نار الثورة والتمرد على النظام الاموي .. وسبب في قيام حركات متعددة ، مما أودى بالنظام الاموي الى السقوط . هـذا ما حدث سابقاً ، أما الآن فما هي العبَر التي نستفيدها من الثورة ؟.

نحن نعـلم بأن أي حركة تعمل للجماهير وتحـــاول تحقيق أهدافهم ومتطلباتهم ، فان مصير تلك الحركة هو البقاء والخلود. والشواهد التاريخية على ذلك كثيرة منها :

ثورة الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، التي كتبها التاريخ وخلّدها في صفحاته الناصعة .

وثورة المختار بن عبيدة الثقفي (رضي الله عنه) التي دافعت وناضلت من أجل الشرعية المسلوبة .. والآن ونحن نتكلم عن

ثورة زيد ، لا بد لنـــا أن نلقي عليها نظرة عابرة لنرى سبب خلودها الى يومنا هذا .. ولنستفيد من مقومات النجـــاح التي وفرتها الثورة في ذاتها .. والتي حصلت بواسطتها على أهدافها .

لقد كان أول هدف أراد الثوار تحقيقه هو استرجاع الخلافة المغتصَبة ثم تعديل النظام الفاسد ، الذي سنّ سنناً .. وأحدث في الاسلام بدعاً لم ينزل الله بهـــا من سلطان .. ورد الفيء .. ورد المظـــالم .. وتوزيع الحقوق بالتساوي .. والتخلص من الرؤوس الكبيرة التي تسيطر على البلد واقتصاديات البلد .

وهـــذه المطاليب : مطاليب جماهير ، تمس واقع الناس .. وتربط بحياتهم ارتباطاً عملياً . ولذلك نرى أن الجماهير المسلمـة سرعان ما التفت حول قائد المسيرة .. وأعطت زمامها بيده .. ليسيّرها على طريق العدالة .. والحرية .

ولذلك خلدت الثورة لأنها قامت على قاعدة جماهيرية متينة . وهذه الفكرة نقلها الجمهور الى الجيل الصاعد ، فتحمّس للفكرة وأخذ يطبق عملياً فكرة الثائرين من آبائه .. ويحولها الى تطبيقات عملية . ومن هنا نعرف سبب خلود الثورة .

أما العبَر التي نحصل عليها من الثورة فهي كما يلي :

أولاً ـ التوعية الجماهيرية : الشعوب المتخلفة .. والمجتمعات الجاهلة .. تركن الى الخنوع عـــادة لتلقي عن نفسها مسؤولية تغيير واقعها .. فهي تفضل التقاعس على العمل .. والراحة على التحرك .. ولذلك فهي تصاب بإحدى الحالتين :

– إما أنهـــا تصاب بعقدة (التدين المتزمت) الذي يرفض تغيير الواقع المتخلف ويفضل بقـاء ما كان على ما كان .. ولا يفهم الدين إلا من خلال بعض الممارسات العبادية الضيقة . فالدين في نظره ، يتلخص في مسبحة .. وبخور .. وصلوات في زاوية مسجد مهجور !.. ليس أكثر من ذلك .. أما الثورة والتغيير فهي كلمات لا معنى لها بالنسبة اليه .. بل يجب الاستعاذة بالله منها عند سماعها فوراً !.

– أو أنها تصاب بالأنانية المقيتة التي لا تعرف إلا الذات ، ولا تدور إلا في دائرة (أنا) . إنها تركن الى الواقع الفاسد .. لأنها تعرف أن الثورة تكلفها غالياً .. تكلفها تعباً .. ودماءً .. وأموالاً .. وهي لا تريد ذلك لأنـــه يخالف أنانيتها ومصالحها الذاتية ..

وفي كلتا الحالتين ينزل البلاء المزمن على هذه الشعوب ..

وبما أن المجتمع الجاهل .. والشعب المتخلف .. يحمل هـذه الصفات السلبية ، لذا فان الواجب يحتم على المناضل الرسالي أن يجد أرضية مناسبة يحمل ساكنيها وعياً دينياً .. فإن لم يجد .. فعليه أن يبذر ويزرع تلك النفسية الواعية في أمته المتخلفة ، كما فعل رسول الله ﷺ في مرحـــلة تأسيس الدولة الإسلامية .. والشعب المسلم.. وكما فعل الإمام علي في مرحلة البناء والتشييد.

وباقي الأئمة في مرحلة تقويم الامة عن مسارها الطبيعي .. فلقد اهتموا ببنـــاء الامة الواعية .. والشعب المثقف .. لكي يتمكنوا من إجراء التعديلات والإصلاحات ، بسند يسندهم من

الخلف .. وهذا السند هو الشعب . فلقد كان الشعب هو السند الحقيقي للأئمة في جميع تحركاتهم وأعمالهم الرسالية .

والسند يتمثل في أن أعمال الأئمة عليهم السلام ، لها الصدى المحمود في أوساط الشعب ، وتُقابَل بالتأييد والتشجيع . مثلا : عندما أراد الإمام علي عليه السلام تغيير النظام الاقطاعي للحكم في عهد عثمان ، كان الشعب يسنده .. ولذلك سرعان ما تجاوب معه وانسجم معه ، مما سهّل على الإمام مهمته .

ومن هنا نعرف لماذا اختار زيد بن علي الكوفة ، مركزاً لتفجير ثورته ..

لقد كان شعبها واعيا .. ووعيه هذا جاء نتيجة أنصار خمسة من الأئمة عليهم السلام. فلقد بذل الإمام علي عليه السلام جهوداً جبارة في سبيل توعيتهم بواجبهم الرسالي في الحياة .. ثم جاء الإمام الحسن بعد أبيه .. ليلعب نفس الدور .. وليهيىء الأرضية المناسبة للثورة .. وليلهب روح التمرد فيهم ضد نظام بني أمية الديكتاتوري .. ويأتي الإمام الحسين ليفجر الثورة بالقرب من الكوفة ، مستفيداً من روح التمرد والنقمة .. التي تمتع بها أهل الكوفة ضد النظام .

وبالفعل ، فلقد كان لثورة الإمام الحسين .. الصدى المحمود في أوساط أهل الكوفة .. فحملوا مشعل المعارضة من بعده .. وقاموا ضد الشام .. وشنّوا حرباً شعواء ضد النظام .

إذن فالرأي العام في الكوفة كان يميل الى أهل البيت ،

عليهم السلام ، والتأييد الشعبي كان رفيق كل ثائر من آل محمد . ولذلك أُطلق على الكوفة لقب (مركز العلويين) .

ومن ثم جاء زيد من الكوفة نفسها ليعلن الحرب العسكرية على الشام .. وقد بدأ بالتوعية .. وعيَّن رجالاً من أجل ذلك العمل العظيم .

ثم ثار .. وقُتل .. وظن النظام أن كابوساً قد أُزيح عن صدره .. ولكنه أخطأ في ذلك .. لأن الكوفة في هذه المرة اشتعلت بدون زيد ، وكان الثائر في هذه المرة فكر زيد .. الفكر الذي تغذى عليه أهل الكوفة ، فأولد عندهم الوعي .. فرفضوا النظام كما قال لهم زيد .

إذن فالعبرة الاولى تتمثل في توعية الجماهير .. وتهيئتها للعمل فكرياً .. والتوعية في بداية الأمر ، تحتاج الى التعمق في أوساط الجماهير .. ومعرفة حاجتها .. ثم العمل من أجل سد النقص الفكري الذي تعاني منه ، هذه الجماهير .. حتى تكون على إلمام كامل بالأحداث التي تدور حولها ، فتأخذ منها موقفاً ، وحتى تستجيب الى نداء الله عندما يدعوها للنفور الى ساحة المعركة .

ثانياً ـ التنظيم :

مما لا شك فيه أن أي قائد ، مهما بلغت حنكته وسياسته الحكيمة في إدارة شؤون معسكره أو بلده .. فانه لا يستطيع أن يحوّل شعباً كاملاً ، أو امة بأجمعها ، الى ترسانة مسلحة ..

وإلى امة مجنـــدة .. مستعدة للتضحية – حتى الموت – من أجل الله .

وكل ما يستطيعه هو كسب تأييدها ، وإحراز الرأي العام الى جانبه .

وهذا ، رغم أهميته البـالغة ، إلا أنه وحده لا يجدي ، كما دلّت على ذلك كل تطورات التاريخ . من هنا احتاج القائد الى تنظيم فئة مضحية مستعدة للموت في كل لحظة .. حتى يكونوا ركائز الثورة ، وكوادرها التي تنطلق من أجل التغيير .

كما فعل الامام الحسين عليه السلام ، فانه جنّد فئة آمنت بالله ، وبما وعد الله .. فضحّت من أجل الله .. والعدل .. والحرية .

ولو لم يفعل الامام الحسين عليه السلام ذلك لسقط في يد العدو .. ولم يكن لتلك الثورة أي صدى . فمن يضمن للحسين وفاء أهل الكوفة .. أو لعل الظروف تعاكسهم فلا يستطيعون نصرته ؟ فماذا يعمل ؟.

من هنـا ، فقد نظم الحسين عليه السلام تلك الفئة المؤمنة ، التي لا زال ذكرها يشنف أسماعنا في كل وقت .

وكما فعل الامام الحسين عليه السلام فعل زيد .. فلقـــد جنّد خمسمائة رجل من المخلصين ، الذين دافعوا معه عن العقيدة حتى الرمق الأخير .

فلو اعتمد زيد على من بايعه ، والذين بلغ عـــددهم عشرة آلاف رجل ، دون أن ينظم له أفراداً وكوادر يعتمد عليها في

كل الأحوال .. لاستطعنا أن نقول أن مقتل زيد على يد يوسف ابن عمر أصبح عادياً لأنه لم يحقق النتيجة المطلوبة .

إذن ، لا يمكن الاعتماد على الرأي العام وحده .. في الامور الأساسية والجوهرية التي ترتبط بالحياة الرسالية .. وإنما يجب تنظيم وتجنيد أفراد يبيعون أنفسهم لله، كي يلازموا تلك الحياة.. ويقبضوا على القضـايا الجوهرية ، التي ترتبط ارتباطاً وثيقـاً بسعادة الامة .

وهذا هو الطريق نحو .. النصر ..

من كلمات الشهيد

الكلمة الحرة .. المنبعثة من فم الرجل الحر لها طعم لذيذ فهي تخرج من فم يستصرخ الناس من أجل الحرية.. والحرية يجب أن يتمتع بها كل مسلم .. ولا يجوز له أن يفرط فيها أو يسكت عنها .

وعندما يسود الإرهاب .. وتعم الديكتاتورية .. تهدأ الأصوات .. وتختنق الكلمات في الأفواه .. يبقى الصوت الحر والكلمة الحقة تزمجران على هذا الوضع .. وتستصرخان الأصوات الحرة .. كي تخرج من مكامنها .. وهذا ما حدث فعلاً في عهد الأمويين. فلقد قصدت حرية ابداء الرأي .. وحل محلها التزلف .. والخنوع للحاكم .

لقد جاء الإسلام ليرفع مكان الإنسان . وجاء بني أُمية ليحطموا هذه المكانة .

لقـد جاء رجل إلى الرسول ﷺ وسحب الغطاء من على كتفه .. فتأثر كتف الرسول من ذلك .. ولم يكتف بهذا ، بل صرخ في وجه النبي : أعطني حقي فيبتسم الرسول في وجهه .. ويطلب منه الخلود إلى الراحة لأنه تعب ثم يعطيه حقه وينصرف.

وفي المقابل يقف الخط الجاهلي مترصداً هـذه المناقبيات .. والمثل العليا ، ليحولها إلى مجموعة نظريات .. أو ذكريات .. مرت ولا أمل لها في العودة .. فلقد كان معاوية يتربص الدوائر لكل حر يتكلم عن الحرية .. ويطالب بها .. فيزج به في أعماق السجون .. كي يخفق ذلك الصوت . لقـد طارد معاوية كميل بن زياد عن طريق واليه بالكوفة زياد بن ابيه .. وقتله شر قتلة لأنه قـال الكلمة الحرة في مجموعة من الناس وناضل من أجلها إلى أن قتل .

ولكن هل اختفت الأصوات الحرة ؟

كلا .. ولن تختفي .. مع ان الإرهاب وصل في عهد المتوكل إلى قتل كل من يقول كلمته .. أو يرفع صوتـه عالياً .. فالامة التي حملت لواء الإسلام لا تخلوا من ضمير حر . ويقف الكلمات الحرة كالشرارة الملتهبة التي تقع على الهشيم فتحوله إلى رمـاد .. تحول أعمال الطغاة .. ومخططاتهم إلى رقاد .. لأنهم يستهدفون مضرة وأذي الجماهير .. فعندما يعي الناس إلى ذلك يفشل ذلك المخطط .. عقارب الزمن .. إلى عهد هشام بن عبد الملك ذلـك الديكتاتوري الذي أرادهـا جاهلية بحتة .. ولكن هيهات ان

سيم له ذلك .

فلقد كان هناك رجل يدعى زيد .. يتجول في أزقة الكوفة متوارياً عن انظار السلطة .. يسير ببطىء ليقول كلمته لهـذا . وذاك .. ثم تحولت تلك الكلمات إلى سيوف مشهورة ، ورماح مرفوعة .. في وجه النظام ، فما أجمل الكلمة الحرة التي تقال من أجل الهدف .. وما أحسنها عندما تُذكر لتغير الواقع الفاسد .

لذي ماذا كان يقول زيد :

« أيها الناس .. ويحكمُ الله إنا قومٌ غضبنا لله ربنا .. ونقمنا الجود .. المعمول به من أهل ملتنا » .

هذه كلمة في خطبة حماسية ألقاها زيد في جماعة من الناس كانوا يهاونون النظام القائم .. فأراد بقوله أن يبني سبب قيـام أهل البيت بالثورة ضد النظم المتسلطة على رقاب الناس .

وهنا يجب أن نعرف إننا نمثل الإمتداد الطبيعي لامـة محمد ﷺ فمـاذا يجب علينا أن نعمل إذا وجهنا هشاماً ثانياً يعيش بين أظهرنا ؟

وقبل الإجابة يجب أن تعرف حقيقة لا بدّ أن نفهمها لنحدد موقفنا من الحكومات الظالمة المعاصرة .

تلك الحقيقة : هي أن هشاماً وأمثاله لم يكونوا ليمثلوا أشخاصاً ظالمين .. بل إنهم يمثلون نظماً قائمة يسير عليها كل من جاء الى الخلافة وهذا النظام امتد عبر القرون . وتعدى حدود

الدول الماضية .. لينفذه ويشرف على تنفيذه حكام اليوم الذين وجدوا في حكم آل أُمية والعباس خير وسيلة لإذلال الشعوب .. ومطاردة المناضلين العاملين في سبيل الله .

وزيد عليه السلام يلقي علينا المسؤولية .. ويطلب منا أن نحدد موقفاً واضحاً إزاء هؤلاء . كما حدد موقفه صريحاً .. وناضل من أجل ذلك الموقف حتى النفس الأخير .

والموقف الذي يفرض نفسه علينا في هـذا اليوم أمام النظم يتمثل في مرحلتين :

المرحلة الاولى : الغضب لله : ولا أعني بـــه حمل الهموم والأحزان في الصدر .. والإستعاذة بالله من الشيطان بين الحـين والآخر . لأن هذه الحالة وهذا الغضب لا يغير من الواقع الفاسد شيئاً. بدليل أن الامم الخانعة التي تستسلم للظالمين دون مقاومتهم لا يجديهم هذا الموقف السلبي الخانع إلا ذلاً ومهانة .

بـل أن الغضب يعني حمل الوازع الديني أولاً : الذي رفض الانصياع للظالمين .. ويرفض الأنظمة التي لا تحكم بما أنزل الله .. والوقوف بصمود أمام التيار المنحرف الذي يقوم بتنفيذه الظلمة من أجل تمييع الشعوب .

كما ان الغضب يعني : التغيير الجماعي : على الجميع أن يحملوا روحاً وبنسبة ليغضبوا لغضب الله .. ويفرحوا لفرحه .. وهذه لا تحصل إلا إذا تهيء الجميع للتضحية في أي وقت.. أي التهيء

للوصول إلى مرحلة التفجير بسهولة .

المرحلة الثانية : نصرة المظلومين .

في الحيـاة ظالم ومظلوم .. والظالم يستغل سكوت المظلوم لكي يزداد في طغيانه وتجبره .

ويحدد زيد موقفنا في نصرة المظلوم ومقاومة الظالم: كمرحلة ثانية بعد الغضب لله .. لأن الظالم في حكم الإسلام .. كافر .. كافر بالعدالة .. وكافر بحقوق الشعب .. التي قسمها الله له .

ونصرة المظلوم لا تعني تحذيره بالصبر السلبي.. أو بحفنة مال تعطى إليه .. لكي يسكت عن مطالبته بحقه .. عن نضاله من أجل أن يعيش حراً .

بل إنه يعني تفهيمه بواقعه ، وبيان فضائح الحكم – وتجنيده في خدمة الله .. لأنه طاقة متفجرة على النظام .. الذي ظلمه.. وسلب حقوقه .. فمن السهل ضمه الى جانب الحق ، عندما يرى بأن الداعين الى الحق قـــد بدأوا في نضالهم المشروع من أجل انتشاله من الظلم .

إذن : يجب أن يكون الغضب لله عن طريق انمـاء الوازع الديني في الامة .. كي تفهم واجبها .. وتحدد موقفها من قيادتها، وبعدهـا تجب نصرة المظلوم المرتبطة بمرحلة « الغضب لله » لأن الله يريد لنا أن نكون أحراراً ، تسود العدالة في حياتنا فلا ظالم ولا مظلوم .. بل أن الجميع في عدالة .. ورخاء .. ورفاهية .

جاء في القسم الذي أقسم عليه الثوار أمام زيد هـذا البند :

(إننا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ... ونصرنا أهل البيت .. على من نصب لنا .. وجهل حقنا) .

مما يلفت نظر القارىء للأخبـار المتتبع للروايات التركيز الشديد على مقاومة من استلب حق الأئمة ، والتبري منهم .

ونحن نرى أن من أهم أعمال الأئمة مقاومتهم لهذا التيار ، فما هو السبب ؟ ولماذا التركيز الشديد على ذلك ؟

يجب أن نعلم جيداً بأن الأئمة يمثلون الخط الرسالي لدعوة محمد ﷺ وان وجودهم يعني إيجاد الحاجز الطبيعي بين الجماهير المسلمة وبين التيار المنحرف الذي تقوده السلطات .

كما أن وجودهم يعني مقاومة الخط الجـــاهلي الذي يترأسه نظام بني امية والعباسي .. إذن فالسبب في ذلك يرجع الى أن هناك تياران يحكمان الامة الاسلامية .

١ – التيار الرسالي الذي يتزعمه أهل البيت..والذي يحظى بشعبية واسعة في أوساط الجماهير .

٢ – التيار الجاهلي الذي تتزعمه السلطة سواء أكانت أموية أو عباسية .

وهؤلاء يهدفون الى طمس معالم الاسلام . وطبعاً قوبل هـذا التيار بمقاومة عنيفة ونفور من المسلمين .

التيار الأول يريد تطبيق العدالة .. والثاني يريد أن يتسلط ويبقى في كرسيه سالماً .

التيار الرسالي يريد للناس أن يعيشوا بحرية .. وسعادة .. ورفاه .. يريدهم أن يقولوا كلمتهم وانتقادهم واقتراحهم للحكم والحاكم مهما كانت منزلته .

التيار المعادي يصوغ معيشة الناس على الكبت والاضطهاد كي يحفظ عرشه من الانتهاء .

ولكنه سقط في الأخير بمعاول حرة .. وصار وصمة عار في جبين التاريخ .

إذن فالأئمة يريدون أن يحفظوا الامة من الانهيار والوقوع في الفخ .

أما سبب التركيز على هذا الموضوع :

فلأن الائمة هم الخلفاء الحقيقيون بعد الرسول .

وبعد الانحراف الذي وقع في القيادة الاسلامية ، أبعد الأئمة من مراكز الحكم ، وكان من نتيجة ذلك اتساع شقة الانحراف حتى وصلت الحالة الى أن يرتقي معاوية وأمثاله كرسي الخلافة .

ولما كان الأئمة يريدون للنـــاس الخير والسعادة .. فهم يحتاجون الى حكومة اسلامية يعملون منها في سبيل ذلـك .. وينطلقون منها لتطبيق كتاب الله .. ولذلك ثار الحسين عليه السلام وناضل زيد .. لكي يحصلوا على الخلافة .. وهـذا حقهم الذي أوجبه الله لهم .

هذا أولا .

وثانياً : لكي يتمكنوا من خدمة الناس .. والعمل بما يقوله القرآن الكريم .

إذن فالتركيز على ذلك يأتي من هذا الجانب .

ونحن اذا أردنا أن نعمل في سبيل الله يجب أن نؤسس أو نعمل على تأسيس حكومة اسلامية، نستطيع بواسطتها السيطرة على الحكم ثم نبدأ بالعمل من أجـل استرجاع حقوق الأئمة .. ومحاربة أعدائهم .

الفهرست

مقدمة	٧
أين تربى الشهيد	١١
صفات الشهيد	١٦
التخطيط ثم العمل	٢٢
هكذا كانت الثورة	٢٨
أساليب العدو في قمع الثورة	٣٤
أثر الثورة في إسقاط النظام	٤٠
نحن والثورة	٤٨
من كلمات الشهيد	٥٥